جامعة تكريت
كلية التربية للبنات
قسم التاريخ

المرحلة: الثالثة
العام الدراسي: 2026-2027
المادة: طرائق التدريس
عنوان المحاضرة: تطور طرائق التدريس
اسم التدريسي: أ.م.د. مبدر محمد علي
البريد الإلكتروني الجامعي للتدريسي: mobder.m.a@tu.edu.iq

تطور طرائق التدريس

تمهيد

لم تبق طرائق التدريس ثابتة عبر التاريخ، بل تطورت بتطور الفلسفات التربوية والمعرفة العلمية وحاجات المجتمع؛ ففي مراحل طويلة كان التعليم قائمًا على الحفظ والتلقي، ثم بدأ ينتقل تدريجيا إلى الحوار، والتجريب، والتعلم النشط، وتوظيف التقنية. وفهم هذا التطور يساعد المعلم على إدراك أن الطريقة ليست صيحة تربوية عابرة، بل استجابة لظروف معرفية واجتماعية ونفسية.

المرحلة التقليدية

غلب على التعليم التقليدي اعتماد الإلقاء والحفظ والتكرار، وكان المعلم في مركز العملية، والكتاب هو المصدر الرئيس للمعرفة، والاختبار وسيلة الحكم على النجاح. وقد كان لهذا النمط دور في حفظ التراث وتنظيم التعليم، لكنه لم يكن كافيا لتنمية التفكير والإبداع وحل المشكلات، خصوصا في المجتمعات الحديثة التي تحتاج إلى مهارات متجددة.

مرحلة الحوار والنشاط

مع تطور الفكر التربوي ظهرت الدعوة إلى إشراك المتعلم في الدرس، وإلى استعمال السؤال والحوار والمناقشة، وأصبح ينظر إلى الطالب بوصفه كائنا نشطا يملك خبرات سابقة يمكن البناء عليها. وفي هذه المرحلة برزت أهمية النشاط المدرسي، والعمل الجماعي، وربط المدرسة بالحياة.

إضاءة بحثية

عند تناول موضوع تطور طرائق التدريس ينبغي للباحث أو المدرس أن يميز بين الوصف النظري للمفهوم وممارسته داخل الصف؛ فالدراسات التربوية لا تكتفي بتعريف المفهوم، بل تسأل عن أثره في التحصيل والدافعية والتفاعل. لذلك يستحسن أن يربط الدارس بين المصطلحات وشواهد صفية قابلة للملاحظة، مثل أسئلة المعلم، واستجابات الطلاب، ونوع النشاط، وطريقة التقويم. وهذا الربط يجعل المحاضرة أكثر صلاحية للبحث العلمي وللتطبيق التربوي في الوقت نفسه.

ومن الناحية المنهجية، يمكن دراسة هذا الموضوع عن طريق الملاحظة الصفية أو المقابلة أو تحليل خطط الدروس أو الاختبارات. ويستطيع الباحث أن يقارن بين صفوف تستخدم نمطا تقليديا وأخرى تستخدم نمطا أكثر تفاعلا، ثم يفسر الفروق في ضوء الأهداف وطبيعة المحتوى وخصائص المتعلمين. وبهذا يصبح الموضوع مدخلا لبناء بحث تربوي صغير يستند إلى مشكلة واقعية، لا إلى تنظير مجرد.

تأثير علم النفس

أسهم علم النفس التربوي في تطوير طرائق التدريس من خلال دراسة النمو، والدافعية، والفروق الفردية، والذاكرة، والتفكير؛ فالمعلم لم يعد يشرح بالطريقة نفسها لجميع الطلاب، بل صار مطالبا بمراعاة مستوى النضج والاستعداد والميول. كما أسهمت نظريات التعلم في ظهور طرائق مثل التعلم بالاكتشاف، والتعلم التعاوني، والتعلم القائم على المشكلة.

تأثير التقنية

أحدثت التقنية تحولا واضحا في التدريس، إذ لم تعد الوسائل التعليمية مجرد صور أو سبورات، بل صارت منصات رقمية، وفيديوهات، ومحاكاة، واختبارات إلكترونية، ومصادر مفتوحة. ومع ذلك فإن التقنية لا تصنع تعلما جيدا وحدها؛ فقيمتها الحقيقية تظهر عندما تخدم هدفا واضحا وتزيد من تفاعل المتعلم وفهمه.

من الطريقة الواحدة إلى التنويع

أصبح الاتجاه الحديث يرفض اعتماد طريقة واحدة في جميع الدروس؛ فالموقف التعليمي قد يحتاج إلى شرح قصير، ثم نشاط جماعي، ثم تدريب فردي، ثم تقويم سريع. وهذا التنويع يجعل الدرس أكثر ملاءمة للفروق الفردية وأكثر قدرة على جذب الانتباه.

تحليل تربوي

يتضح من العرض السابق أن نجاح أي ممارسة تدريسية لا يعتمد على الاسم الذي تحمله الطريقة، بل على جودة تنفيذها وملاءمتها للموقف؛ فقد تكون الطريقة حديثة في ظاهرها لكنها تقليدية في تطبيقها إذا بقي الطالب متلقيا سلبيا، وقد تكون طريقة قديمة نافعة إذا استعملها المعلم بوعي ودمجها بالحوار والتطبيق. لذلك ينبغي الحكم على الطريقة من خلال أثرها في تعلم الطلاب، لا من خلال شيوعها في الأدبيات التربوية فقط.

كما أن للسياق المدرسي دورا كبيرا في اختيار الطريقة؛ فحجم الصف، وزمن الحصة، وتوافر الوسائل، ومستوى الطلاب، وثقافة المدرسة، كلها عوامل تحدد مقدار ما يمكن تطبيقه. ومن هنا تظهر أهمية الواقعية في التدريب التربوي؛ إذ لا يكفي أن نطلب من المعلم استعمال طرائق نشطة، بل يجب أن نزوده بخطوات عملية قابلة للتنفيذ داخل ظروفه الفعلية.

طرائق القرن الحادي والعشرين

تركز طرائق التدريس المعاصرة على مهارات التفكير الناقد، والإبداع، والتعاون، والتواصل، وحل المشكلات، ومن أبرزها: التعلم القائم على المشروع، والصف المعكوس، والتعليم المدمج، والتعلم التعاوني، والاستقصاء. وهذه الطرائق تنسجم مع الحاجة إلى متعلم قادر على البحث والتعلم الذاتي، لا على مجرد حفظ المعلومات.

تحديات التطور

على الرغم من أهمية التطوير، قد تواجه المدارس صعوبات مثل كثافة الصفوف، وضعف التدريب، وقلة الوسائل، وضيق الوقت، وثقافة الاختبارات؛ لذلك ينبغي أن يكون التطوير واقعيا ومتدرجا، وأن يبدأ بممارسات بسيطة قابلة للتطبيق داخل الصف.

خلاصة

يعكس تطور طرائق التدريس تطور فهمنا للإنسان والمعرفة والمجتمع، والطريقة الجيدة اليوم هي التي تجمع بين وضوح المعلم ونشاط المتعلم، وبين أصالة المعرفة ومرونة الوسائل.

أسئلة للمناقشة

1- لماذا لم تعد الطريقة الواحدة كافية؟

2- ما أثر التقنية في التدريس؟

3- اذكر مثالا على تطوير طريقة تقليدية لتصبح أكثر نشاطا.

أنشطة وتقويم

يمكن تحويل مضمون هذه المحاضرة إلى نشاط تدريبي بأن يطلب من الدارسين تحليل موقف صفي قصير وتحديد عناصر القوة والضعف فيه. كما يمكن تكليفهم بإعداد خطة درس مصغرة توظف المفهوم الرئيس للمحاضرة، ثم مناقشتها جماعيا وفق معايير واضحة، مثل مناسبة الهدف، وتسلسل الخطوات، وتنوع الوسائل، وطريقة التقويم. وهذا النوع من الأنشطة يساعد على نقل المعرفة من مستوى الفهم النظري إلى مستوى الأداء العملي.

أما التقويم فيمكن أن يتضمن سؤالا تحريريا قصيرا، أو بطاقة خروج، أو مقارنة بين مفهومين، أو تصميم موقف تعليمي بديل. ويفضل أن يقيس التقويم قدرة الدارس على التفسير والتطبيق، لا الحفظ فقط؛ لأن طرائق التدريس بطبيعتها مجال عملي يحتاج إلى قرار مهني واع ومبرر.

مراجع مختصرة

1- أبو جادو، صالح محمد علي. علم النفس التربوي. دار المسيرة، عمان.
2- زيتون، حسن حسين. تصميم التدريس: رؤية منظومية. عالم الكتب، القاهرة.
3- قطامي، يوسف. نظريات التعلم والتعليم. دار الفكر، عمان.
4- مرعي، توفيق أحمد، والحيلة، محمد محمود. طرائق التدريس العامة. دار المسيرة، عمان.